هذه الصفحة

تختص هذه الصفحة من (المدى الثقافي) اليوم باستذكار اعماك القاص العراقي الغائب عبد الرزاق الشيخ علي الذي خرج من السجن يوم ١٤ تموز ١٩٥٧ ولم يره احد بعد ذلك!

* في ٢٣ كانون الأول يكتب (ان الملاريا

فتكت باهل القرية -ويقصد الشامية-

♦وفي ٢٤ كانون الاول يغادر الشامية

معلقاً على جهل العم ومودعاً شقيقته

هكذا تنتهي يوميات المفكرة العصرية

لعام ١٩٤٢ ومعظمها يوميات شخصية

لا تشير الى نشاط سياسي واضح الا

بعض اشارات عن غياب (س) آو (ص)

عن موعد في مفكرة (العرب) الصادرة

عام ١٩٤٧ عن ادارة مكتبة المثنى ببغداد

لصاحبها قاسم الأعظمى (قاسم

محمد الرجب) كتب (مؤلفٌ) المفكرة

الملا عبد الحميد الزيدي مقدمة لها

تم جاء ترتيب الاشهر الشمسية

والقمرية ثم اعقبته صفحات اليوميات

يوم الأربعاء (١) كَانُون الثَّاني شاهدت اربعة فصول تمثيلية قام

بتمثيلها طلاب معهد الفنون الجميلة

الخاصة بعبد الرزاق الذي كتب:

وفوزية شاحبة الوجه وعليلة).

فوزية المريضة ايامها.

ملمنا حفيده السيد فولاذ مفكرتين سنويتين احداهما صدرت عام ١٩٤٢ عن المكتبة العصرية لمحمود حلمي وهي (المفكرة العصرية) والثانية مُفكرةً (العرب) الصادرة عام ١٩٤٧ عن مكتبة المثنى ببغداد حيث دون فيهما عبد الرزاق الشيخ علي بعض يومياته:

كتب عبد الرزاق في الغلاف الثاني من مفكرة عام ١٩٤٢ ان مهنته (موقظف بدائرة اجراء بغداد) وعنوانه هو (كرخ-بغـداد ٤/١١٣) وكتب في صفحــة يــوم السبت الثالث من كانون الثاني جملة واحدة هي (علي حجازي) من دون تعليق، وكان علي الحجازي —كما هو معروف- مدير شرطة بغداد ايامها وفي صفَحة يوم الجمعة ١٦ كانون الثاني

مضيى على سفر زوجتي المحبوبة ٣٥ يوماً الى الشامية وفي طبيلة هذه المدة لم اجد للراحة من معنى" وفي الثلاثين من كانون الثاني كتب: (تحركت السيارة من الشامية تتَّجه بنا الى الديوانية) مما يعني انه ذهب الى اهل زوجته

نيسان وهو يوم تتويج الملك الصغير فيصل الثاني عام ١٩٣٩ كتب عبد الرزاق ملاحظة تقول: (وفي يوم العطلة ذهبت الى المعمل لاتعلم فن الخراطة على يد جهاد). وفي ٧ نيسان كتب يقول (ق في المدائن) وفي يـوم الاربعـاء كتب البرموز التالية (٢٣-٣٣ فحامة ١١اشخـاص) ومحلـة الفحـامـة واحـدة من محلات الكرخ يومذاك مما يعني انه سيجتمع او اجتمع بهؤلاء في الدار المرقمة (٦٣). وانت تجد في المفكرة الكثير من الحروف الاول والارقام لكنه يكتب يوم ١٦ نيسان: (قضيت ليلة البارحة في اوتيل الهلالُ حيث ضقت ذرعاً من الدار وكانت ليلة جميلة وكان نومى لطيفاً). وفي اليوم التالي يكتب انه نـّام في اوتـيل عبدنــان (بعـدّ عنـاء

ليصحبها الى بغداد. وفي صفحة يوم ٤

﴿ فِي ٢ مايس يكتب ان زوجته قررت ان تفطم (سامرة المحبوبة) فكان لها ما ارادت مما يدل على أنه عاد الى بيته وانسجم مجدداً مع قرينته؟ الله عايس يشير الى اصابة ابنته

النهار ومشاقه بعيداً عن الأهل).

* في يوم الجمعة ١٨ تموز كتب يقول (رجعت من المحطة بعد ان ودعت الام وهي متجهة الى الديوانية ومن هناك الى الشامية فليحرسك الله ايتها الام). وفي مكان آخر يبدو واضحاً أن (الام) هي ام (سامـرة) زوجـته وانه يشتاق لهما سوية حتى عادتا بعد

من مديرية الاجراء المركزي الى محكمة تمييز العراق وقد عاد بعد ذلك فنقل بعد ثلاثة ايام الى دائرته القديمة.

الوحيدة (سامرة) بالحصبة.

وابنة خالة عبد الرزاق.

اعتزام قريب الى اعتزام قريب

له هو (تركي) بالانتقال عنهم الى دار

اخرى، وفي ٤ حزيران يشير الى انتقال

تـركي وزوجته الى دارهمـا الجـديـدة

وانتقال خالته معهما لاجل (كميلة)،

وكميلة —كما يبدو- هي زوجة تركي

 ﴿ الْحَامِسِ مِن كَانَـونِ الْأُولِ بِكتبِ (عصابة سراق ومتآمرون فسحقاً

الله نقل الأول يشير الى انه نقل الله نقل الله نقل

الوطن،محاسن الصدف. الثُلاثاء (٧) كانون الثاني ومضت علي ثلاثة اشهـر وانــا ادرس اللغة الضرنسية في معهد الآباء الكرمليين.

السبت ١٢ نيسان "المستشرق الفرنسي الاستاذ بروفنسيال في السوربون). السبت ٧ حزيران : "البدء في المعاملة واعطاء التقرير مع الصور ودفع مائة فلس والتوقيع على التصريح الفرنسي

--الاحد/ ٢٩ حزيران كتب يقول "الرجوع الى الجحيم.. أي والله فلقد رجعت الى الضرب على الالة الطابعة بعد أن انتهت اجازتي ولم تأتي (كـذا) المـوافقـة مـن وزارة الخـارجـيـة الضرنسية وكل املي ان اسافر خلال هذا الشهر الى فرنسا.. اكاد انشق من الغيض (كُدًا) وانفُجر من القهر ولكنّ لكِل اجل كتاب وانني في انتظار رحمة

بتاريخ ٤٤/٨/٣١ صدر أمر تعييني في

دنانير وبتاريخ ٤٧/٨/٣١ صدر امر قبول استقالتي من المديرية المذكورة بعد أن بلغ راتِبيُّ (١٥) دينَّاراً فلله الْحمد اولاً

(٥) ايلول "في طريقي الى فرنسا.. قُضْيتُ ليلة امس في الصّحراء في سيارة ٢ أيلول "في الشام" وتستمر عبارة "في

الشام" ليومين اخرين، وفي يوم الجمعة (٢٣) ايلول كتب يقول "في بيروت". الاربعاء ١٧ ايلول "وصولي الى فرنسا". (١٩) ايلـول الدفعت ٢٠٠٠ فـرنك لصاحبة الغرفة، يبدأ الايجار من هذا

(٢٠) ايلول: "تذاكر العيش..!!" (٢٢) ايلول: "مدرسة الاليانس

وفي صفحات الاجمالية السنوية كتب عبد الرزاق: عباس حسن الصراف المحامي

اوتيُّل غازي بجانب السينما- شام لدرجة الثانية ٥٨٨٥

من مجمل هذه اليوميات نجد تداخل الخاص الشخصى (الأسرة والوظيفة) الى السفر الى فرنسا والتحاقه بالسوربون لسنتين وقد نتج عن ذلك عدم استطاعته الاستمرار في الدراسة علىٰ حسابه الخاص وحضوره مؤتمر انصار السلام () حيث عاد بعدها الى العراق ليصدر كتابه الاول (اجراس السلام) الذي يصور اهمية حركة دفع به الى التوقيف والسجن فقد كان المنوعة في قوانين النظام الملكى

سامرة عبد الرزاق تحصوبه نصداء عنه عصام ١٩٧٤

في عدد جريدة (طريق الشعب) المرقم ٢٦١ والصادر في ٢٠ تموز ١٩٧٤ وجهت المغضور لها السيدة سامرة عبد الرزاق الشيخ علي نداء الى كل من يعرف القاص الذي اختفى فجأة واتهمت السيدة سامرة الامن العام بتصفية والدها الشهيد ثم تحدثت عن قصصه وكتابه (اجراس السلام) ودعت من يعرف شيئاً عنه وعن مسودتی کتابین له اختفتا معه ان يساعدها في العثور على اثاره، وجاء في نداء ابنته:

ابي.. كيف انت يا ابي؟" جملة اكثرت انتَ في ترديدها في قصتك (من الانصار) وكأنك قد استعجلتني في ســؤال اردده الان كل مـرة..واستـرجع صوتك في قصتك وانت تقول لها (لا تبكى فهناك غيرك، مثلك، صغار يموتون وغيرهم يتامى.. وانت ايضاً ستموتين.. وانا اموت) وتختم قصتك بمخاطبتك لى (آه يا بنيتى .. يا صغيـرتي.. من اجلك انت، ومن اجل غيرك.. نناضل من اجل السلام). لقد ظللت اردد هذه الكلمات خلفك

وكنت اتوقع رجوعك كل ساعة بعد ان اختطفك زبانية بهجت العطية في احد ایام تموز عام ۱۹۵۷ لانك عودتني على هذه الحياة فياماً غبت عنا اياماً واشهراً وسنوات ثم عدت.. ذكرياتك كثيرة وعميقة الجروح ايها الوالد الشهيد في سبيل حرية الشعب. انى لاذكر فرحك الكبير باصدار كتابك (اجراس السلام) عام ١٩٥١ وحين سجنتك السلطة الْمُلكية

بسبب كتابك. اذكر اننا كنا نلتقي في ايام المواجهة في سجن بغيداد وبعقوبة حيث مضيت عاماً ونصف العام واذكر كل

انا وجدتي العجوز- ان نظل ننتظر اللقاء بالرغم من التشرد والضياع والظروف الصعبة.. نعم كنت ترجع وتقص علينا اجمل الحكايا موضحآ الشرفاء من ابناء شعبي العظيم وكيف صعق جلادوك من تصرفك

رفاقك امامك. عام ونصف قضيت قسماً كبيراً منه

واذكرك يا ابي في المنفى وقصة ذلك

وجهاً لوجه مع اعواد المشانق التي

الصلابة النضالية التي يتملكها رفاقك وتتملكها انت.. فما زالت ذكرى رفضك مصافحة مدير سجن بعقوبة بمناسبة حلول عيد الفطر المبارك -ضارباً يده قائلاً له- اننى ارفض بقوة مصافحة بد ملوثة وملطخة بعار تعذيب وقتل المناضلين هذا وكيف نقلوك اثر ذلك الى سجن انضرادي مكبل اليبدين والبرجلين بسلاسل ثقيلة.. لقد كنت بحق تحمل روحية كل المناضلين

في سجن انضراداي والجلاد مدير السجن يصب نار حقده الاسود

القلم الذي اعجبت به واحببته سمير الذكريات وكان هدية من احد الرفاق وكم كنت معتزاً به لانه من رفيق

وانى لاذكر وانا فتاة صغيرة سنة ١٩٤٩ عند رجوعك من باريس بعد ان قضيت هناك ثلاث سنوات في الدراسة وعند رجوعنا من المطار واذا بك

سفراتك واعتقالاتك العديدة.. كانت تحمل اجسِاد الرفِاق الخالدين، لقد كان منظراً مريعاً بالنسبة لك ولكنك خلال ذلك عودتنى في كل مرة وضربت على جبينك بقوة وفوجئنا مهما طال غيابك وطال انتظاري – بك وانت تضرب عن الطعام لعدة ايام حزناً على رفاقك الذين جمعتك معهم ايام النضال. ايام كان الرفاق يختضون عندك في البيت كأنت أياماً تعتز بذكراها.. ابي العزيز.. ان ابني عمار بدا يعرف عنك كل شيء.. وقد كان يوم ولادته هو اول يوم من رجوعك من المنفى (بدرة) يوم ۱۶ تموز عام ۱۹۵۷ وقد غضبت عندما رايته ملتفاً بقماطه وقلت لي حرريه.. من هذه القيود ففي هذا البوم حلت كل قيود العبودية، ذكرى تحطيم سجن الباستيل. اني ارفع ذكرياتي هذه لتكون كسؤال

الرزاق الشيخ علي من يعرف عن الشيوعيين، ولقد احس الجلادون هذا الاحساس فيك فراحوا يعذبون

لكل الشرفاء

مخطوطاته الادبية شيئاً.. فكل اختفى عنه.. حتى تراثه الادبى.. لقد اختفى وهو يحمل حقيبة كبيرة تضم كتابين معدين للطبع وللنشر ولكن الظروف كانت لا تسمح بذلك كتاب (آلهة الأرض) و(الدنيا بخير) واقاصيص اخرى.

-اين ابي.. اين نصير السلم عبد

اني اليوم ارفع صوتي بنداء لكل الناس الشرفاء الطيبين.. لكل من يهمه الأمران يعثر على اثار مؤلف (حصاد الشوك) و(اجراس السلام) و (عباس افندي) ذلك الانسان الذي ذهب ولم يعد.



من قصصه المنشورة

*حصاد الشوك (مجموعة قصصية)- مطبعة الرابطة -بغداد-«عباس افندي (قصص) مطبوعات مجلة -الثقافة الجديدة- مطبعة العاني -بغداد- , ١٩٥٩

ببين يدي الطبيب- مجلة الرابطة- ع ١٦-٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ پشرب دم اخته- مجلة الرابطة- ع٧٠-تموز ١٩٤٦ ۱۹٤٦ ألحب- مجلة الأديب (بيروت)- ع٢ شباط ١٩٤٦ خكسوف- مجلة الاديب (بيروت) -١٧٤ كأنون الاول ١٩٤٩ الدرس الاول- الاوقات البغدادية اذار- ١٩٥١

--- ماري من السابلة الأمن المسهدين عدنا نجر حتى اذا انقضت السابلة الأمن المسهدين عدنا نجر

خطانا على ارصفة بغداد الكئيبة المثقلة بالهموم. وفجأة ران الصمت على سيمائه المتشنجة غضباً

وانزوى في عينيه المتقدتين صدى بعيد من

لقد لقيت عبد الرزاق بعدها مراراً في الطريق

الطويل.. وكانت الأفاق تتلبد بالعواصف

والاعاصير.. وليال لم تكتمل بإشراق نجم.. وبدأ

عبد الرزاق يلملم ذكرياته يسكبها في قصصه التي

نشرتها له الاهالي، ثم استقرت في مجموعة "حصادً

الشوك" وكان اسم هذه المجموعة وشيج الصلة

اليوم والُّغد الشوك والسنبل لكليهما حصاد..

وتتشأمخ حركة السلم عبر الآفاق البعيدة ويسافر

عبد الرزاق الى (برلينٍ) في اول وفد عراقي!! لقد

كان ذلك آنذاك حدثاً سياسياً عبر تاريخ بغداد

فقد كان يعي ويدرك كل كلمة يكتبها ويقولها..

بالاشواك التي تحف بالطريق الطويل.

ويعرف أي افَّق من غده نجد السبيل

٢٣ كانون الأول "ابتداء العطلة.

اُعظمية - هيبت خاتون رقم الدار ١٩/

لوكانده امريكو- بيروت جرة السفر من بيروت الى مرسيليا جرة السفر من مرسيليا الى باريس اجرة دخول السوريون الدرجة الثالثة ٢٠٠٠

بالخاص الثقافي الذي توضح في توقه السلم ونشاطأته داخل المؤتمر، وهوامر تنظيم انصار السلام من التنظيمات ويحكم على (متعاطيها) بالسجن وفقّ قانون العقوبات البغدادي.

التجربة القصصية في (عباس افندي)

مجموعة (عباس افندي) القصصية تجمع سبع قصص قصيرة مختارة للقاص الراحل تشكل جزءاً اساسياً من تجرية القاص في مرحلتها الاخيرة بعد ان تعایش مع بیئة ثقافیة اخری هی بيئة باريس لسنتين وعاد مُثقلاً بالالم نتيجة حلم لم يتحقق هو اكماله الدراسة في السوريون ليعيش معركة الوجود والفكر الديمقراطي مع النظام الملكي وليزج به في السّجن حتى عام القصة الأولى (عباس افندي)

تتمحور في شخصيات: عباس موظف الحكومة وشقيقته فوزية التي يعاني عباس من طلاقها وعودتها لة وشخصية (سومه) الباهتة المعالم. وتجربة عباس افندي تجربة انسان

حالم بحرية حصل عليها بزواج اخته حيث استعد للزواج وفقدها بعودة فوزية اليه مطلقة.

والقصة تنتمي الى ذلك النوع من السرد الاجتماعي الذي تنتمي اليه معظم قصص المجموعة فالاحداث تتسرب دون محطات مفاجئة ولا بنى استعراضية، تصور صورة حياة في وقت يكتب فيه القاص اقصوصة (كان وكان) التي تصور قصة (كان وكان) نموذجاً لُتجربة نضالية – بطلها (سعيد) افندي وصديقه الفلاح الذي دخل معة تجربة النضال فحكم على الافندي بخمس سنوات وعلى الفلاح بستة السجن يجد صديقه الفلاح يسخر ١٤ تموز, ١٩٥٧

من امكانية التغيير وقد اعتراه يأس تصدع الاحلام لكن حوارهما يدفعه الى العودة الى (الطريق) وهى قضية مفروضة من خارج البنية القصصية هدف منهآ القاص استمرار الامل لا اكتساب تجربة خلق قصصي غير مصطنع. في القصص الاخرى (الافعوان) و (الليل) و(من الانصار) تجد البنية النضائية هي اساس العمل القصصى ولا تعدو القصص سوى ان تكون مانفيستو نضائي داخل السجن وخارجه فيما كانت قصة (بين يدي الطبيب) تشكل صورة انتقادية لتصرف بعض الاطباء فهي رسالة احتجاج اكثر منها قصة

مبنية فنيا.

عالم عبد الرزاق عالم مليء بالاحلام والاحساس الدائم بضرورة الحرية والعمل من اجلها وهو قاص فهم العمل داخل النفس الانسانية القلقة (ماجدة في الافعوان وسعيد كركر الكردي في (زمن الانصار) وأم سعيد في (اللّيل) وهو يتقن بناء المنولوج الداخلي الذي يساعد على لحم ما اضاعة البناء التقليدي في معظم قصصه. ان تجربة عبد الرزاق الشيخ علي القصصية ينبغى ان تفهم على اساس مكانتها التاريخية داخل القصة العراقية ولا تحسب على اساس التجارب الجديدة التي اعقبت ذلك بدءاً من تجارب عبد الملك- التكرلي فقد عاش عبد الرزاق حياة مضنية وغير هادفة اشهر، وعند خروج سعيد من ومليئة بالصدمات حتى اختفائه في عبدد السرزاق السشيخ علي يعسود مع السربيع

قصة قصيرة

عبد الرزاق الشيخ علي

وقف بباب مجحره منتصب الاذنين نشط الانف وشمل المكان بنظرة ثاقبة من عينيه اللامعتين. كان الهدوء شاملاً إلا من انضاس منتظمة مالوفة طالما اصاخ اليها بشغف ولذة. ونقر قوي سريع على الواح شفافة بيضاء ألفه في هذا الفصل وفي الشتاء الماضي عندما كان يسعى وئيداً في طلب غذائه بعد ان ذهبت امه في رحلة غامضة. . اطمأن إلى ما حوله فرفع يديه الدقيقتين واعتلى حافة البساط بخضة ومضى يستعرض ما عليه فلم يجد ما يسترعي انتباه معدته واستأنه فتلك الصحف المبعثرة على البساط والكتب المرصوفة في المكتبة والملابس الموضوعة بالدولاب، يعمل فيها اسنانه في غير هذه الساعة التي يستقبل فيها أنفه رائحة طيبة وهنَّاك هناك فوق هذه القوائم الطويلة.

لم يلاق كبير صعوبة في اعتلاء صدر المنضدة. ولم يكن يرى الجبن موضوعاً بين الخبر والضاكهة حتى هز ذنبه طرياً واطبق عليه باسنانه الدَّقيقَة بنشاط عظيم. احس بامتلاء بعد قليل، فتوقف

عن القرض ورغب في اللعب. طفق يلهو بقطعة الجبن فاهتزت الكأس في مكانها فراقه ذلك الاهتزاز. ونشط في استدامته. ضربها برأسه ورفعها بجنبه ويديه، وفجأة مالت الكأس وانقلبت على قطعة الجبن وسال بعض ما فيها على رأسه، مكث برهة يحدق في السائل

الابيض ٍ والكأس المائلة، وكان النقر مستمرأ وكذلك الانفاس المنتظمة فدفعه الفضول الى رفع يديه والوقوف على قدميه، وادخل رأسه في الكأس فتأثر برائحة قوية كانت تفوح منها وشرب الثمالة. مضت فترة والجرد واقف في مكانه

لخدر اصاب اطرافه وحرارة تصاعدت الى رأسه. اشياء لا عهد له بها تتحرك فيه، يداه تطولان! رجلاه تتضخمان! فمه يتسع لالتهام القطط كلها مرة واحدة وانطلق يرقص نشوة وانتشاء غب برهة وجوم وجحوظ انه ينمو.. انه يكبر سيمزق صدور القطط بمخاله الضولاذية ان جرؤت على . اعتراض سبيله في الخروج من وراء هذه الجدران الضخمة العالية، آه.. هذا زميل جديد.. وقفز عليه ينشد معانقته وتقبيله لكن وجهه ارتطم بصفحة المرآة بشدة.. فتراجع وهو بحملق متعجباً في ذلك الجرد الذي يضرب من ينشد صداقته.. وتهيّاً للقتال بيد أن الانفاس التي تحولت الى شخير عال صرفته عن العراك واسترعت انتباهه، اندفع

نحو السرير واعتلاه. كان قد الف أنفاس صاحبه واعتاد النظر الى وجهه اثناء تطوافه..

لكن الوقار كان قد زايله في ذلك اليوم وتملكه الفضول في معرفة ما في داخل الثقبين اللذين يخرجان تلك الاصوات العالية، مد ذنبه بهدوء وفي هذه اللحظة انفتح الباب ببطء واحتراس وارتفع في جو الغرفة عطاس سمر الجرد في موضعه، وبينما هو يحاول الحركة سقط عليه شيء انتزعه من مكانه بشدة وقذفه بعيداً.. وكان القط الذي دخل الغرفة قبل هنيهة يتأمل ذلك المشهد متحفزاً فما كاد الحرد يرتطم بالجدار حتى وثب عليه بخفة وحماس عظيمين

ورددت الحيطان صدى قهقهة

وتصفيق.

وعيناه العميقتان الكبيرتان الكئيبتان.. كان يقول اشياء جديدة. ويتحدث في اشراقات دنياً كانت حلماً زهواناً في اعمـاقنـا آنـداك، لـشـدة مـا كـان شغفه عميقــاً

وكان ينتقل بين احياء باريسية معروفة، الشانزليه، مونمارتر.. مونبارناس. اللوفر.. نوتردام.. اللايبار..

وفي احدى الامسيات كان لنا موعد تحت كومة متناثرة من النخيل في مقهى بسيطة وعلى حصيرها الاسمر.. ننشر مجموعة تلك الذكريات، صور، ولوحات،

وبطاقات ملونة- كان بعضها لفنانين عرفتهم باريس قديماً وحديثاً: غوثمان- رينوار- دي لاكروا-بيكاسو.. وكان ينطق اسماءهم بلهجته الباريسية الجديدة.. ثم يجمع تلك الكومة من الذكريات ويفتحها على طرف المنضدة اللتآكلة.. ويصمت قليلاً.. ثم يردد.. والأدب!!

وكأنما اراد ان يسبقني اليه قلت: قصته هناك... وابعد من هناك.. اللاب يعنى الانسان الشامخ، سُيد الارضَ، وصانع الحياّة، فأذا لم يكن هذا هو محوره فانه ثرثرة حانقة، وصناعة بائرة. فالأدب، دم، ودموع وجراح ونار، وإشراق وهو بعد هذا

كله يهندس للغد العملاق.. غد الانسان، ومن اجل هذا فإنني امتهن الأدب إن لم يكن قادراً على كسر سيف الطَّاغية، وتخريق شراع القرصان، وهدم قلاع البربري. انه هيبة اعصار الجموع، وبناء الغد.. غد الشموخ

والأشراق والفرح. الغد.. نحن بناؤه اهل القلم.. كاتباً وشاعراً ومفكراً ومن صنع اقلامنا التي تجوس الظلمات ومتاهات لجوع، وزرائب السجون.. نصغى الى معاناة . مضطهدة، وآهـة مستغل، وجـراح قتيل، في هـذه الدروب يسير الادب الى غده المشرق.. حيث هي تبقى الاكواخ وتبقى السجون والاضطهاد والاستغلال وثآئق قديمة لعصر غابر فيما سيأتي به التاريخ من غد يسوده زهو الحب والربيع الذي

وآماله الكيار.. ليلة صيف تلك التي طال فيها لقاؤها الاول الى ما

كاظم السماوي

كان عائدا من باريس، شعره الاسود الضاحم المسترسل وراء عنقه: وكلماته الهادرة المدوبة..

باستجلاء ذكرياته تلك حيث لم تكن الايام قد اسدلت ستارها الكثيف عليها بعد..

يخبو ولا يذبل ولا يموت ربيع الانسان الخالد... كان عبد الرزاق يؤكد على هذا.. باصرار مضطرم وايمان لا يتزعزع بغده الكبير عند باريس وبغداد، هاتين المدينتين اللتين كانتا تتنازعان حبه وعذابه

السياسي، فمن يستطيع ان يمر عبر بوابة بغداد الجدّيدة، ولكنّ الّتاريخ يحدثنا ان الحرية تجد لها منفذا عبر اضخم اسوار الطغاة. وهكذا وقف عبد الرزاق الانسان البسيط على

اطلال الزيخشتاغ ثم عاد يحدثنا عن الاطفال والزهور، والرايات الزرقاء، والحمامات الراقدة فوق اكواُم الْكرمَادُ والخرائَبِ والأطفالِ، وشبابِ الدنيا اسودهم وابيضهم ينشدون لحناً وأحداً بعشرات الكلمات واللغات. للسلم، وللإخاء، للاطفال، للزهور، للموسيقى،

للثغور القرمزية الصغيرة.. الاطفال الذين كان عبد الرزاق يعانقهم في الدروب والشوارع والحدائق، ثم عاد ليحدثنا عنهم.. اولئك الذين فقدوا آباءهم في قاع بحر، او تحت اطلال في ساحات مجهولة.. آباءهم الذين لن يعودوا الى الابد.

ورجع عبد الرزاق ليشد على يده ويقرع (اجراس السلام) ، لأطفال بلاده السمر من اجل أن لا يظلوا على قارعة الطريق ينتظرون عودة آبائهم الدين لن يعودوا.. الى الابد!! وكانِ آنذاك يقرع جرس السلام.. ولقد كانت بغداد

كهضاً اسود لعصابة لصوص تبيع وتشتري بالدم، والشرف والضمير.. تبيعها في سوق النخاسة لأي دافع ثمن. ويقف عبد الرزاق في قفص الاتهام وتضمه السجون

في الصحراء المقفرة في "نقرة السلمان" تلك القلعة .. البريرية في احضان الرمال، والرياح والسموم.. وكنت آنذاك خارج العراق فلم اسمع عنه بعد هذا سوى ان الجدران السود قد اطبقت عليه واخرست الكلمة النذيرة، وابرم حلف بغداد..

هكذا سمي باسم مدينته التي احب اطفالها ونخيلها وبسطاءها واراد لها ان تكون أفقاً يمور بألف جناح، وارضاً تميس في جنباتها ضفائر



ـد الـرزاق الـشيخ علي

السنابل الذهبية والزهور.. وها إن عبد الرزاق يدفع ثمن تلك الاحلام الشريفة ويقضي شبابه واطيافه الملونة بألف قوس قزح يُ صحراءً وظلام عام ١٩٥٤٠٠

الشقاء دثار مخملي ابيض يجلل الربوات والجبال والأرياف وكان بيتي هناك انا واطفالي نقلب ايدينا على لهب الموقد.. وطرق الباب واطلت ورقة صغيرة تحمل اسمه.. انه ينتظرني في مقهى بحري على شواطئ البحر الابيض.

وهرعت انزل الدروب الملتوية بين احضان البحر وبيوت القرميد الاحمر المتناثرة، لشدة ما كنت في شوق ظامئ له- ووجدته يتأمل البحر المترامي

كان وقلق الضياع يطل من قسماته وشددت على يديه طويلاً وجلست ليحدثني بحسرة عن الخيبة يُّ أَن يجدُ العلاجِ لدائهُ الوبيلُ. وصعدنا الجبل ثانية.. وضمتنا الليالي الطويلة حول موقد النار، كان انساناً نسيجاً وحده...

لا ينزل كتفيه للصاعدين النازلين- كان صريحاً الى قرارة الاعماق.. كان يبصق على الوجوه الشنيعة ذوات الاقنعة، وكان يقول اشياء تشنج اعصاب الطيبين.. اذا شطوا او ركبهم الغرور او نسوا انفسهم قليلاً، وتعالوا بأكتافهم وانوفهم. كنا جماعة من شريدي الطغيان يضمهم الجبل الابيض المكلل بالثلوج- بين محكوم غيابي في

مجالس نورى السعيد العرفية، وبين هارب من السجن، وبين طريد ضاقت به الأفاق، اساتدة ودكاترة وعمال، وطلاب.. وكل صباح يوم احد نجتمع ونقرأ ونتحادث وكان

يجلس بيننا عبد الرزاق صامتاً طيباً.. ولكنه سرعان ما ينفجر كالبركان اذا ما لسعته كلمة مغرورة ويكاد ينقض كالاسد الهادر فلا يهدأ حتى يعيد ذلك الانسان الى اعماق حقيقته.. وقد احببت عبد الرزاق في منفاي الصغير.. فقد

كان انساناً حقاً، كان يبتسم بعمق اذا ما المت بنا كان لا يغير داؤه الوبيل اهتمامه.. كان متضائلاً كبيراً فكم ذرعنا الدروب العتيقة من الحبال.. وحديثه المنساب لا ينقطع عن احلام غده الزهوان. كان انساناً عجيباً اذا ابتسم تجد الوادي والجبال والاشجار تكركر معه.. وكان على زاوية فمه اصرار عُجيبٌ.. وذاتُ صباح جلسنا كعادتنا نتصفح الجرائد اللِّبنانية وعلَّى زوايا تسمرت عيناه او ظلَّ

كذلك امدا طويلا.

تحمل آنذاك لى ولاصدقاء آخرين انذاراً باسقاط جنسياتنا اذا لم نطاطئ هاماتنا للسادة الاجلاف. وغرقت عيناه في عيني طويلاً دون ان ينطق بكلمة، لقد كان يقرأ كل لحِّة من لمحات وجهي.. يقرأ صراري ناطقاً مدوياً ثم ظلت نظراته معلقة في الأفق البعيد.. البعيد.. 1902 ...

اراد ان يبعد الجريدة ولكني تناولتها برفقٍ.. وكانت

ميناء بيروت.. وجواز سفر عبد الرزاق كان اسمه (محمد حسين) وحقيبة صغيرة فيها كل ما امتلك في الحياة، كتأبات، وبدلتان، وشيء كان يصفق بجانبي ضمير. امواج البحر تترامّى الى ما وراء المجهولُ تمتد وتمتد أمام عيني وبجانبي لمٍ يزل عبد الرزاق المودع الوحيد.. كان لَّا يقول شِيئاً.. كإن يصرخ بصمت كأنت عيناه تتقدان جمراً.. غضباً.. كان لا يقول شيئاً

صفير الباخرة .. هزات يده السمراء النظيفة جداً جمر عينيه يتقد خلال رعشات مناديل بيضاء لم

من اضواء بيروت.. تغيم وينأى بها الافق البعيد...

شارع الرشيد.. اتصفح الوجوه اسال عنه المارة.. اقتحم الابواب.. اطرق الصمت على كل شفة.. اتوسل للحيرة في كِل عين.. قلت لهم كأن اسمه محمد حسين.. ايضاً.. قلت لهم كل ما قاله لي من اشياء.. ووجدتني اجلس بعد لهاث!! في مكتب جريدة لأُكتب بتسَّاؤل جريح "اين عبد الرزاق؟" وتحمل الجريدة ذلك التساؤل الى عشرات الالوف من الناس البسطاء الذين احبهم عبد الرزاق..

ولكنهم مثلى لا يدرون ! ولا يعرفون سوى ان يرددوا تساؤلي مرة.. وثانية، وثالثة.. مئة مرة! ايها النّاس الذين ترددون الف مرة كل يوم.. اسم الحرية.. والسلم، والانسانية. ايها الادباء العائدون كل مساء الى بيوتهم وفي لهفة

تعانق اطفالهم الصغار.. اذكرواً.. عبد الرزاق الأنسان الذي يعيش في بسمات اطفالكم.. الانسان الذي قرع جرس السلام.. وغاب .. ولم يعد.

ان لم تجدوه.. فتشوا عن رجل اسمه محمد حسين ايضاً.. وقولوا لاصدقائه هنا وهناك السائلين عنه انه سيعود مع الربيع .. ربيع انسانيته الكبير.